آباء ... وأعداء

بعد أن حكمت عليَّ الظروف، وجلست – صدفة – بجوار زوج وزوجته وابنهما الشاب الجامعي المُغرَّر به من جماعات الغدر والخيانة بخط المترو الأول من رمسيس إلى المرج.

استفزتني جدًّا كلمات الشاب مع والديه عن جريمة مسجد الروضة بالعريش.

في الحقيقة حاول الأب والأم إقناع ابنهما بإدانة هؤلاء المجرمين، الذين ارتكبوا هذه الجريمة غير الإنسانية وغير الأخلاقية.

لكن الشاب لم يقتنع بكلام والديه.. وظل متمسكًا برأيه، مدعيا بأن «الدواعش مجاهدون يقتصون لإخوانهم الذين قُتلوا على أيدي الجيش والشرطة في «رابعة والنهضة وسيناء و...»!!

حينها استأذنت الأبوين أن أتدخل في الحديث، فلم يمانعا.. فطرحت على الشاب سؤالًا:

– هل الأديان السماوية الثلاثة تأمر بقتل الأبرياء؟

باغتني الشاب بهجوم لفظي غير مبرر من نوعية:

– «هو فيه حد طلب من حضرتك تتدخل في حوار خاص جدًّا بين أفراد

أسرة»؟!

قلت له:

- أنت مثل ابني، وقد استأذنت والديك في الحديث معك.

وقبل أن أستكمل كلامي مع الشاب، قال لي:

- من فضلك انتهى الكلام معك.

بعد ذلك ترك مكانه، وظل واقفًا طَوالَ الطريق على باب عربة المترو، تارة ينظر إلى السماء، وأخرى ينظر إليَّ وإلى ولدَّيه نظرات عداء غريبة.

مثل هذه النوعية من فلذات أكبادنا ومن يسقونهم هذه السموم تجدهم لا يكلُّون ولا يملُّون من سرد مساوئ الفترة الحالية مع تغليظ الأيمان بأنهم ليسوا إخوانًا ولا صلة لهم بالإخوان لا من قريب أو بعيد.. وأن كل ما يهمهم – كمصريين – هو مصلحة مصر ليس إلا!!

تسمعهم يحدثونك – مثلاً – عن ارتفاع الأسعار، وعن الفساد المستشري هنا وهناك، وعن المشاريع القومية العملاقة، بأنها مشاريع «وهمية»!!

وعن إنجازات الجماعات الإرهابية مثل «داعش» و«أنصار بيت المقدس» ضد دول المنطقة بفخر وامتنان.

وفي ذات الوقت يصفون لك مستقبل مصر بأنه «مظلم»، دون أن يذكروا الإنجازات التي تمت وتتم على أرض الواقع منذ ثورة ٣٠ يونيو المجيدة وحتى الآن، كما ألاحظ في كلامهم تشابهًا وتنسيقًا غريبين في الصيغة والأسلوب، وكأن من يُلقنهم هذا العبث هو شخص أو جماعة بعينها!!

عندئذ سألت نفسي:

– لماذا يكرهون وطنهم إلى هذه الدرجة؟ ومن الذى زرع في عقولهم وبث في آذانهم هذه السموم؟ وهل حقًّا مثل هؤلاء يخافون على مصر وعلى استقرارها، أم أنهم يريدونها خرابًا ودمارًا تنعق فيها الغربان والبوم؛ لتكون بعد ذلك مأوى لمصاصي الدماء وأمراء الحروب من تُجار الدين؟

وجاءتني الإجابة عندما تذكرت كلام محمد مهدى عاكف، المرشد السابق لجماعة الإخوان، عندما قال:

– «طُزّ في مصر.. وأبو مصر، واللي في مصر».

ما سبق كان قليلاً من كثير في أدبيات «الإخوان» عن الوطن الغالي.

– يعني بصريح العبارة.. مصر، شعبًا وأرضًا، لا تهم الجماعة ولا محبيها أومشتاقيها وعبيدها وخُدامها في شيء، لا من قريب ولا من بعيد.. انتهى.